

تمثيلات الهجنة في الرواية ما بعد الكولونيالية "سويت أمريكا"
لزينب الأعوج

*Representations of hybridity in the postcolonial novel
"swit amrikä" by Zainab Al-Awaj*

ط.د بسعيد أسماء *

د. عمر حاتم *

تاريخ الإرسال: 2024/01/10	تاريخ القبول: 2025/05/29	تاريخ النشر: 2025/06/20
---------------------------	--------------------------	-------------------------

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع التهجين الذي أصبح ظاهرة تمس جميع الخطاب، خصوصا في مرحلة ما بعد الاستعمار التي رافقت ما بعد الحداثة، تميزت بظاهرة الهجرة والمنفى واللجوء، استطاعت أن تؤثر على الهوية وفكرتها حول الثبوت والنقاء، إلى خلق نوع من الهويات الهجنة.

لذلك سنسعى من خلال هذه الدراسة إلى مقارنة رواية "سويت أمريكا" للكاتبة والروائية زينب الأعوج من منظور سردي ثقافي، بهدف الوقوف على أهم تمثيلات الهجنة وذلك بربط السرد بالمرجعيات الثقافية.

الكلمات المفتاحية: الهوية، التهجين، هومي بابا، زينب الأعوج، سويت أمريكا.

*مخبر الدراسات الأدبية والنقدية/ جامعة البليدة 2،

ela.bessaidi@univ-blida2.dz

*جامعة علي لونيس- البليدة 2،

omer.hatem@univ-blida2.dz

Abstract:

This research addresses the topic of hybridity, which has become a phenomenon that touches all forms of discourse, especially in the post-colonial and post-modern eras marked by migration, exile, and refuge. These phenomena have impacted identity and its concepts of authenticity and purity,

leading to the emergence of hybrid identities.

Therefore, this study aims to approach the novel "swit amrikä" by the writer and novelist Zainab laouedj from a cultural narrative perspective. The objective is to explore the key representations of hybridity by connecting the narrative with cultural references.

Key words: Identity, hybridity, Homi Bhabha, Zainab laouedj, swit amrikä.

المؤلف المرسل: بسعيدى أسماء، ela.bessaidi@univ-blida2.dz

*** **

مقدمة:

تعد ما بعد الكولونيالية من أهم مظاهر ما بعد الحداثة، وأهم النظريات النقدية التي تميزت بطابعها الثقافي والسياسي، قامت بدراسة التأثيرات التي تلت الاستعمار، وكيف أثرت على علاقة الشرق بالغرب، أو علاقة الهامش بالمركز، أو المستعمر بالشعوب المستعمرة، فاتخذت من الأدب بكل أجناسه خصوصا الرواية وسيلة لتعبير، ومعالجة معظم القضايا كمشكلة المنفى واللجوء والهجرة... وغيرها، هذا لما تمتلكه من إمكانات تخيلية تستطيع فيها محاكاة وتصوير ما يواجه المهاجرين، والمنفيين من تحديات وضغوطات، تجعلهم يمتلكون هوية مزدوجة بين الأنا والآخر، كما أنها ليست مقتصرة على عنصر، فهم يتعاملون ويتأثرون بالبيئة وثقافة الأخرى المختلفة عن الأصل، فتجعل الشخص يشعر بالانتماء إلى مجموعة عرقية معينة وفي نفس الوقت يشعر بالانتماء إلى ثقافة أخرى، وهو ما يخلق نوع من التهجين، لذلك تجد العديد من الروائيين المعاصرين يتناولون هذه القضايا في أعمالهم فمن بينهم الشاعرة

والكاتب "زنب الأعوج" في روايتها الموسومة "سويت أمريكا" التي تطرقت من خلالها إلى إثارة العديد من القضايا، التي أصبحت تشكل أمراض العصر، كالعنصرية في المجتمعات الناتجة عن الاختلافات، والتي بدورها تخلق لنا نوع من التهجين سواء من ناحية الهوية أو الاسم والدين... وغيرها، وهو ما نلمسه في نص الرواية، وعليه ماهي تمثيلات التهجين في رواية "سويت أمريكا"؟ ولكن قبل الإجابة عن الإشكال المطروح لابد من التعرّيج لماهية الهوية وكيف نشأ التهجين؟

المفاهيم الأساسية:

قبل التطرق للحديث عن الهجنة ومفهومها لابد من الإشارة لمصطلح الهوية الذي تعدد واختلف، فهو من المصطلحات الأساسية التي شهدت شيوعا وتداولاً، فتربعت على اهتمام العديد من الدارسين في مختلف المجالات المعرفية والاجتماعية، فليس مرتبط بال اللحظة الآنية وإنما ضارب في القدم أي له جذور في الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية والمصرية... إلا أنها في العصر الحديث والمعاصر ارتبطت بما يسمى "ما بعد الاستعمار" أي العلاقة بين المستعمر والمستعمّر وكيف تم فرض ثقافات وسياسات للمستعمّر على الشعوب المستعمرة، قد تكون عبر قوانين وسياسات قمعية، لذا نجد الهوية " أنها ليست موضوعاً ثابت أو حقيقية واقعية، بل إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية، فالهوية قائمة على الحرية لأنها إحساس بالذات والذوات الحرة والحرية قائمة عن الهوية لأنها تعبير عنها...الهوية ليست شيئاً معطى بل هي شيء يخلق" ¹ فالهوية مرتبطة بالحركة لا السكون تتفاعل وتتأثر بالتحويلات الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، كما أنها قائمة على الحرية، فالأفراد يمكن أن يشكلوا هويتهم بناء على اختياراتهم الخاصة وأهدافهم، لأنها تعبير عن الذات، تساهم في تحقيق التوصل مع الآخرين كما عرفت على أنها " إنسانية تتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية واللغوية والثقافية" ² فهي تركز على القيم والروابط المشتركة بين البشر، إنها الفكرة التي تؤكد أننا جميعاً من نفس النوع البشري، بغض النظر عن العوامل المحيطة، فلا يحددها الزمان والمكان، فالمرء ليس مرتبط بهوية واحدة وثابته بل هو جمع من الهويات المختلطة وهو الشيء الذي أثبتته الدراسات ما بعد الكولونيالية.

يعد إدوارد سعيد من أشهر النقاد اللذين عالجوا موضوع الهوية وتقاطعاتها، فقد عدة من أهم القضايا التي تجعل الإنسان يعيش في نوع من الضياع الداخلي والخارجي، واستمد مفهوم الهوية من حياته والحالة التي يعيش فيها فيرى أن هويته مختلطة باعتباره عاش حياة المنفى من فلسطين ومصر وأمريكا، فهو ليس مرتبط بمكان واحد وبلد معين ولا لغة واحدة تميزه، حتى اسمه فيه نوع من التركيب أجنبي وعربي، وهو يؤكد من خلال قوله "أرى نفسي كتلة من التيارات المتدفقة أؤثر هذه الفكرة عن نفسي على فكرة الذات الصلدة، وهو الهوية التي يعلق عليها الكثيرون أهمية كبيرة، تتدفق تلك التيارات مثلها مثل موضوعات حياتي"³ هنا نجد إدوارد سعيد يبحث عن نفسه وأحوالها، باعتبار أن هويته غير ثابتة، فهو واقع بين تيارات مختلفة يتأثر ويتفاعل معها، وهو ما يشكل صورة معقدة ومتغيرة عن هويته، يوجهها بالمقاومة فالهوية عنده غير صافية ونقية، بل تمتاز بالتعددية والتنوع، و"ليست مستقرة، وهي في حالة تدفق مستمر"⁴، فعندما يكون للفرد هذا النوع من التداخل والاندماج بين مختلف العوامل والعناصر الثقافية، والاجتماعية المختلفة والمتعددة يخلق لنا هوية هجينة، التي أصبحت ضرورة لتعايش ويقول إدوارد سعيد في هذا الصدد "إن فكرة التعددية الثقافية، أو الهجنة التي تشكل الأساس الحقيقي للهوية اليوم، ولا تؤدي بالضرورة دائما إلى السيطرة والعداوة، بل تؤدي إلى المشاركة وتجاوز الحدود، وإلى التواريخ المشتركة والمتقاطعة"⁵ فهنا إدوارد سعيد جاء بمفهوم الهجنة حتى وإن كانت مجرد إشارة بسيطة، عن طريق التعددية الثقافية التي تسعى لتقبل التنوع واحترامه في المجتمع، وتعزيز التفاهم والتعايش بين مختلف المجتمعات والأفراد.

مصطلح الهجنة من المصطلحات التي نالت اهتمام العديد من الباحثين فهو يشير بمجرد تبادره إلى الذهن إلى "مزيج بين نوعين اثنين مختلفين"⁶ مهما كانت طبيعة هذين النوعين، استعمل في علم النبات وأشار "إلى تناسل متبادل لجنسين مختلفين بالتطعيم أو التأثير المتبادل لتكوين ثالث جنس هجين"⁷ لكن بمجرد استعماله في الخطابات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية ينقلنا إلى العلاقات الثنائية القائمة بين المستعمر أي الذات الفاعلة، والمستعمر المفعول به، متجاوزا الفكر الاستعماري الغربي.

ارتبط هذا المفهوم -الهجنة- بالناقد الهندي هومي بابا، الذي تأثر بما جاء به بإدوارد سعيد من خلال كتابه "الاستشراق" سعى فيه إلى الكشف عن العلاقة بين الشرق والغرب، وكيف تأثر الغربي بالحضارة الشرقية، التي عادت عليهم بالإيجاب مانحة إياهم تلك القدرة لتحكم في الآخر، أي اعتبر الخطاب الكولونيالي دائما في مرحلة القوة، فيرى هومي بابا أن العلاقة القائمة بينهما ليست علاقة انفصال كما تم التطرق إليها، الغربي يمثل المركز والشرقي تابع له ، وإنما تبادل وتفاعل -هوياتي- وتأثر فالمستعمر بفتح الميم يعجب بالمستعمر، ويقلده في عدة مجالات، ولكن لا يعني الانصهار في الآخر، وإنما تشكل نوع من الرغبة والنفور في آن واحد وهو نفسه ما ينطبق عن الآخر، فتخلق لنا هوية هجينة " فالتهجين، والتجاذب والانشطار والاختلاف الثقافي تشق الهوية وتجعلها ضربا معقدا من التفاوض بين فضاءات مكانية وزمنية تاريخية ومواقع للذات متعددة"⁸، كما تعني " الهجنة إعادة تقويم لافتراض الهوية الكولونيالية عبر تكرار مفاعيل الهوية التمييزية، وهي تبدى التشوه والانزياح الضروريين لجميع مواقع السيطرة، كما تنزع استقرار الحاجات المحاكاتية أو النرجسية لدى القوة الكولونيالية لكنها تعيد إدراج تعييناتها في استراتيجيات الهدم التي ترد تحديقة الخاضع للتمييز إلى عين القوة"⁹ أي القوة الكولونيالية تسعى لفرض السيطرة عن طريق إنتاج هويات ضمن الهوية الأصلية فيكون حضور هذه السلطة غير واضح ومباشر، فتخلق بذلك هويات غير ثابتة ونقية، كما تعني "تلك الطرق التي تحدث هذه المفردة وقوضتها، ومع أن الأيديولوجيات الإمبريالية والعنصرية تصر على الاختلاف العرقي، إلا أنها تحفز المعابر، وهذا يعود إلى أن ليس كل ما يحدث في مناطق الصدام يمكن مراقبته وضبطه كما أن هذا مرده في بعض الأحيان إلى سياسة الاستعمار المقصودة"¹⁰.

دخل هذا التهجين عدة مجالات مختلفة فهو " يتحرك في فضاء مزدوج ومتناقض لأنه مزيج من ثقافة المستعمر والمستعمر، فهو فضاء " ما بين " الذي يحمل عبء الثقافة ومعناها، كما أن الهجنة تخفي محاولات لتأكيد التبادلية الثقافية في العملية الكولونيالية وما بعد الكولونيالية"¹¹ فقد أصبح حضوره ظاهرة تميزت بها الخطابات، وهو ما يتجسد في الرواية التي بين أيدينا "سويت أمريكا" بعد أن أضى "التهجين" خاصية من خصائصها التركيبية، ومن بين الروايات التي شهدت هذه الظاهرة، الرواية

الإفريقية عامة والجزائرية خاصة، وهذا لعدة أسباب بينها الاستعمار، العولمة، المنفى، الهجرة والانتقال ... أثرت بذلك على عدة مركّزات كالعرق، والدين واللغة والأسم وحتى المأكل.

ملخص الرواية:

تتناول الرواية موضوع مهم وهو العنصرية والعداوة في مدينة أمريكية تدعى فريلاندا، ويتم ممارستها من طرف مجموعة من المتطرفين، يقفون في وجه كل ما هو مختلف عربي ومسلم وأسود...

تبني أحداث هذه الرواية حول البطل "جيل" مختص في ترميم المعالم الدينية وعائلته، وذلك أثناء انتقاله لمدينة "فريلاندا" من أجل ترميم كنيسها التي أهملت لسنوات، هذه الشخصية البطلة عربية الأصل اسمه الأصلي "جيل" ينادى "جلال" فهو شخصية مزدوجة الكنية، أصوله العربية "شامية" أما زوجته "كايا" من أصول يهودية هندية، لديه ابنتان من التبني "يامي" ذات الأصول الأفغانية وهي مسلمة، أما "نويي" فهي يمنية الأصل من ديانة يهودية أنقذها هو وزوجته من عالم الحروب والاستعمار، وربهما برفقة "كايا" بكل ما يملكان من حب وحنان.

انتقلت هذه العائلة إلى المدينة فريلاندا التي زعم فيها المتطرفين بأن كل رجل مسلم هو إرهابي بالضرورة، نفس الشيء انطبق على "جيل" وهذا بسبب ملامحه العربية، تعرض البطل للكثير من التهديدات والضغوطات وحتى الاعتداءات من أجل مغادرة المدينة لم يتركوا أي طريقة لطرده حتى برمي النفايات في حديقة منزله، وتستمر الأحداث إلى غاية اختطاف ابنته "يامي" وتعرضها للاغتصاب والقتل بأبشع طريقة، خطوة مجنونة تجرّ عليها القاتل بارتكابه هذه الجريمة البشعة في حق طفلة بريئة، تأتي مراسم الجنازة وتوضع في تابوتها تقرأ عليها سورة ياسين بالعربية وبعض الآيات بالإنجليزية من طرف إمام إيست فريلاندا، كما قرأ عليها جزء صغير من الكديش على روحها، أما أختها "نويي" ذات الأصول اليهودية تقرأ عليها أناشيد القداس، تدفن "يامي" ذات الأصول الإسلامية في مقبرة مسيحية. رغم هذا الألم الذي لحق بالعائلة ومعظم سكان المدينة لم يدفع "جيل" للاستسلام ومغادرة المكان بل صمم على إتمام ما بدأه،

لتنتهي الرواية باحتفالات إعادة ترميم الكنيسة ومشاركة ابنته "نويي" العزف، كما يسمع الجميع قصته من الأصول وصولاً لمكانه هذا.

الهجينة في رواية "سويت أمريكا":

التهجين في اللغة:

يعد التهجين في اللغة "خاصية يعتمد عليها بعض الروائيين المعاصرين باعتباره" خلط في التعبير وتداخل بين الألفاظ وعبارات اللهجة العامية المحلية، وألفاظ وصيغ وتراكيب من لغة ولغات أجنبية دخيلة ذات تأثير على المتلقي"¹²، تجسدت لنا هذه الظاهرة في رواية "سويت أمريكا" للكاتبة زينب الأعوج فعمدت إلى توظيف أنواع مختلفة من اللغات واللهجات سعياً منها لإيصال الفكرة والصورة لذهن المتلقي فتجسد التهجين في كتابتها أكثر من شخصيات الرواية، فاستعملت اللغة العربية وفصاحتها، واللغة الإنجليزية رغم قلة تداولها في المجتمع الذي تنتمي إليه، وكذا اللغة الفرنسية، وبعض اللهجات العامية كاللهجة الجزائرية، واللهجة السورية، وحتى المصرية، لذا سنحاول تناول بعضها في اللغة الأصلية للنص الروائي، لكن قبل الولوج لمحتوى لابد من الانطلاق من العنوان، فكما هو معلوم العنوان هو العتبة الأولى، والمفتاح الرئيسي للولوج إلى أي مدونة كانت، فالعنوان الذي بين أيدينا "سويت أمريكا" للشاعرة والروائية زينب الأعوج هو عنوان هجين، جاء مكتوب باللغتين العربية –سويت أمريكا- بخط عريض وهنا كتب كما نطق في اللغة الأصل بحروف عربية، وتحته مكتوب باللغة الإنجليزية – sweet America – فقد أقحمت الروائية عنوان إنجليزي للعنوان المعرب، فهي لم تستعمل اللغة العربية الفصحى وما تتوفر عليه من خصائص فقط وإنما استعانت بلغة ثانية.

أما متن الرواية فغلب عليه استعمال اللغة العربية الفصحى، استطاعت أن ترصد كل أشكال العنصرية والاضغوطات التي عايشها البطل في ضل هذه المدينة، التي تختبئ تحت عباءة الحرية، كان استعمالها راق ومرن، دون وسيط تمكنت من رسم صورة لذلك المجتمع وما واجهه كل غريب عنه. لكن إلى جانبها كان للغة الإنجليزية بصمة واضحة، فمعظم الأغاني والأناشيد التي ذكرت في الرواية كانت باللغة الإنجليزية

وإن كانت اللغة الأصلية لشخصيات مغايرة، لتقوم الكاتبة بترجمتها في التهميش للغة العربية على سبيل المثال أغنية شيلديش غامبينو وأغنية لويس أمسترونغ:

I see trees of green

Red roses too

I see them bloom

For me and for you

And I think to myself

¹³What a wonderful world

أرى الأشجار الخضراء

وأرى الزهور حمراء أيضا، وهي تتفتح

من أجلي ومن أجلك وأقول لنفسي.

ما أجمل هذا العالم.

كما تجسد التهجين في اللغة في بعض شخصيات الرواية، نجد استعمالها مع "جوردان" ذو الأصول الروسية عند حديثه عن روسيا والقياصرة فهو لم يستعمل لغته الأصلية بل الإنجليزية في التعبير عن أمريكا¹⁴ America is my mother وجملة Don Ernesto Malcom Space¹⁵

لم تكتفي الكاتبة من استعمال لغة واحدة بل راحت تغرف من معين اللغة الفرنسية جسدها البطل "جيل" عند حديثه عن الكنيسة التي لم يحافظ عليها أهل المدينة " الكنيسة تحولت إلى وكر SDF " ¹⁶ وأيضا بعض الكلمات المعربة التي تساهم بدورها في نقل الثقافة إلى لغة أخرى، عن طريق إدخال مفاهيم جديدة ونلمسه في بعض الكلمات كا كلمة موبایل، ومادام، وفريق الباسكات...

لا يمكن التغاضي عن توظيف اللغة العامية التي تعرف على أنها "لغة تستخدم في الشؤون العادية، والتي يجري بها الحديث اليومي" ¹⁷ فقد انقسم استعمالها في النص الروائي إلى ثلاث لهجات مختلفة، اللهجة الجزائرية جاءت على لسان يامي ذات الأصول الأفغانية من خلال حديثها مع والدها " فهمت يا بابا معلمش" ¹⁸ وأيضا في كلام "جيل" وهو يخاطب ابنه " مالكنش" ¹⁹ وذلك إشارة منه لعدم الاعتراض، وظهرت أيضا في عبارة "كانت تلبس تريكو والدها" ²⁰ وفي الحوار الذين كان بين المتطرفين حين قال الباسكي أو كما يسمى غارسيا خوسي " تعرف يا آري ثم صمت قليلا وواصل، لو كانت الدنيا دنيا" ²¹ أما اللهجة المصرية برزت في جملة " عجلات السيارة خربانه" ²² وتظهر اللهجة السورية على لسان زوجته "كايا" إذا ما في إزعاج ²³ باعتبار أن زوجها ذو أصول سورية نلاحظ أن الرواية مزجت بين لغتين وعدة لهجات جعلت الرواية تنحرف عن اللغة الأصلية، والنظام اللغوي الخاص، فالتهجين هنا ارتبط بالرواية أكثر من الشخصيات وهذا لتأثر بالثقافة الأمريكية بعد أن أقامت بها لعامين، كما أن هذه اللهجات لم يكن لأبطال العمل الروائي احتكاك بها لكن الروائية أقحمتها في هذا النص.

التهجين في الهوية:

ينشئ الإنسان في بيئة يتأثر بها ويحمل ثقافتها، ومقوماتها، من لغة، ودين، وعادات، وتقاليده وغيرها وتصبح هويته وانتماءه، مرتبط بها، كأن نقول هذا أمريكي وهذا فلسطيني، ومادام التباين بين البشر حقيقي، فالهوية تعد تفسير لذلك التباين، لكن فترة ما بعد الاستعمار تغيرت هذه النظرة، فأصبح الشخص الواحد يملك انتماءات وجنسيات مختلفة في الآن نفسه، ولا يمكن إيجاد هويات وأعراق صافية، وهو ما يخلق لنا هوية هجينة.

لقد جسدت لنا رواية "سويت أمريكا" تنوع في الجنسيات والقوميات في الهوية لشخصية الواحدة وهذه الظاهرة مست معظم الشخصيات، "على سبيل المثال "جيل" الذي ينادى في مدينة فيرلاند بمسلم فيرلاند، هذا الحكم الذي انطبق عليه بسبب المظهر الخارجي، كما أنه أمريكي مسيحي من أصول عربية وبالتحديد سوريا، لكن هذه الشخصية تعرضت لنوع من التهجين يظهر ذلك بعد أن تعرض للضغوطات من طرف

أحد المتطرفين وردَّ عليه "هذه الأرض أرضي، لي حق فيها مثلك... يفترض أن تكون في بيتك لمراجعة دروسك، بدل التعدي على ناس أمريكيين مثلك".²⁴

كما نجده مع شخصية فريديكو الصديق المقرب لجيل، وذلك عند تقديم الوثائق الخاصة بهم لعناصر الشرطة، ومخاطبتهم لهم: "أنتم من الأجانب؟ ... ضحك فريديكو وهو يقدم وثيقته، طبعاً. أنا اسمي يفضحني، فريديكو دي لامار لاتيني، لكفي ابن هذه المدينة ولدت هنا وأعيش هنا، وسأدفن هنا"²⁵ فافريديكو في هذا الموقف اعترف بأصوله لأنها ظاهرة في اسمه لكن في الآن نفسه اعترض عليها بتبريره لمكان ولادته وعيشه.

أما في حوار جوردان مع صديقه ظهر واضحاً "ما دخل روسيا والقياصرة يا جوردان؟ إلى الجحيم كلهم. لا يوجد عندي حنين لهما، جزء من عائلتي ارتحل إلى أمريكا والجزء الآخر اختار أوروبا"²⁶ ليعبر بعدها على أن أمريكا هي الأم، وعلى أن هذه الأرض أرضهم، لابد أن تبقى بيضاء ولا ترحب بأي دخيل، فهو دلالة على التجرد من الهوية والاندماج في الآخر.

التهجين في الدين:

يشكل الدين منهلاً تسقى منه الأفكار والمواضيع، شغل حيز من الاهتمامات برغم من تعدد التعريفات التي تنصب حوله وهذا راجع لاختلاف الديانات لكن يمكننا القول أنه " حالة نفسية والعقلية والوجدانية التي يتصف بها شخص معين، ونسميها الدين، أو مجموعة من المبادئ والقيم التي تدين بها أمة أو جماعة اعتقاداً وعملاً، وتظهر في كتب ومراجع و روايات، وتتمثل في عادات خارجية وأثار اجتماعية"²⁷ كما عده من المحظورات، لكن نجد الروائية زينب الأعوج كسرت ذلك التابو وحاولت استنطاقه، وتجاوزت خطوطه الحمراء، نسجت نصها بخيوط الدين، الذي كان عنصراً فعالاً والمحور الذي دارت حوله الأحداث، فالرواية لم تكن مرتبطة بدين واحد، بل اختلفت الديانات حتى في الأسرة الواحدة، بين الإسلام واليهودية والمسيحية التي شكلت العنصر الكبير في الرواية، لم ينجو هو الآخر من عنصر التهجين، وهو ما تجسد في شخوص الرواية، على سبيل المثال "جيل" الذي قام بشراء تمثال "بودا" المتعلق بالديانة البوذية

لزوجته "كايا" ذات الديانة اليهودية فكان متأثر بقيمته برغم من أنه مسيحي، أما زوجته فقد تحسسته بخشوع، ويظهر ذلك " تلمست كايا تمثال بودا... تمثال ساحر يا جيل كيف تحصلت عليه... هو لك خصيصا اشتريته من السوق الشعبية للتحف... لكن له تاريخ... لا أعتقد أن صاحبه يعرف قيمته".²⁸ كما يظهر تهجينه من خلال تعامله مع الأشخاص اللذين قاموا برمي النفايات أمام بيته وفي حديقة الكنيسة، فلم يعاملهم بنفس الأسلوب بل بعفو مستشهدا بما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم " أنظر ماذا فعل محمد نبي المسلمين، عندما وضع جاره اليهودي كيس القمامة عند بابه"²⁹ ليروي بعدها القصة كاملة.

تنص الشريعة الإسلامية على أن التعامل مع الميت له آدابه التي تختلف مع الديانات الأخرى وهما مالم يطبق في نص الرواية، فبعدما تعرضت " يامي" للقتل وهي الفتاة المسلمة، لم تكن مراسيمها وفق الديانة الإسلامية، بل كان هنالك مزيج بين الديانة الإسلامية من خلال "يقرأ إمام مسجد إيست فريلاند سورة ياسين بالعربية، ثم ست آيات منها باللغة الإنجليزية" أما الديانة اليهودية تظهر في "قرأ أحد الحاخامات الذي كان واقف كتمثال، قريبا من فتحة القبر جزءا من الكديش على روح الضحية"³⁰ لينهيها بأناشيد الديانة المسيحية "صعد من جديد صوت ماركو بولو وفرقته عاليا يتلو أناشيد كريدو Credo الحزينة بنبرته الحنونة الهادئة..."³¹ فكان هنا مزج بين أساليب وتقاليده مختلفة في مراسم وطقوس الدفن، فهو يعكس ذلك التأثير المتبادل.

إن الشخصية الثانية التي تعرضت لهذا النوع من التهجين هي ابنتهم ذات الأصول اليمنية والديانة اليهودية "نوبي"، نجدها تأثرت بالمحيط الخاص بها وذلك بعزفها أثناء جنازة أختها للأناشيد الدينية الخاصة بالمسيحية "صعدت نوبي بسرعة إلى المنصة... عزفت في البداية آفي ماريا وأنشدتها"³² فهنا كان هناك نوع من التفاعل الروحي والثقافي.

لا تتوقف الروائية عند التهجين في هذه الأسرة بل تجاوزتها لشخصيات الثانوية وهو "ويليامز" ذلك الشيخ الذي تأثر بالديانة المسيحية والطقوس التي تقام فيها برغم من أن أصوله يهودية هندية، الشيء الذي جعل والده سابقا يدفع الثمن حياته

باعتباره دخيل على المسيحية، ويظهر تهجينه أثناء حوارهِ مع "جيل" تستهويني دائماً الأماكن المقدسة أسمع موسيقاها وتراتيلها وأشعل الشموع".³³

التهجين في الاسم:

يحمل الاسم العديد من الدلالات والمقاصد، فهومن العتبات الرئيسة التي لها وظائف مختلفة " التعريف والتصنيف والدلالة، يمكن أن تنتج الوظيفة الأولى عن إعطاء اسم وحيد من نوعه، أو أن تتموضع في متلقي عدة تعريفات، كالتذكير مثلاً بيوم الولادة، أو بتفصيل مرتبط بها، أو أن تختلف، حسب ظروف ومراحل الحياة، والوظيفة الثانية تصنف الفرد ضمن جملة محصورة، أو واسعة، لكون الاسم يدل على الهوية الاجتماعية عبر تناغمه الجغرافي، أو رنته الاجتماعية مثلاً، ووظيفته الثالثة أي الدلالة مرتبطة بالتعقيدات الرمزية"³⁴، إذن هو نسق خاص يحدد هوية وانتماء الفرد، مسلم كان، أو مسيحي، عربي أو أجنبي، الشيء نفسه انطبق على شخصيات الرواية، على رأسهم البطل "جيل" الذي تغير اسمه " اسمه جلال بدل جيل؟ أين القضية؟ من لا يحمل عدة أسماء وأسماء مستعارة حتى"³⁵ رفض تسميته بجلال رغم الأصول العربية كنوع من المقاومة، فهو اسم سبب له الحرج وقد وضع على عاتقه دون أن يكون له دخل في ذلك، فقد تم تبديل اسمه من طرف المتطرفين، هو ما رفضه، لأنه نكص عليه العيش في مدينة فريلاندر براحة دون عنصرية في الانتماء " اسم جيل وليس جلال، هذه الأرض أرضي لي حق فيها مثلك يوم تصير هذه الأرض ملكك وحدك لن تكون في حاجة لطردى، سأغادرها من تلقاء نفسي"³⁶.

أما الشخصية الثانية هي ابنته المسلمة ذات الأصول الأفغانية، والتي أطلق عليها اسم يامي، وهذا ليسهل عليها العيش والتأقلم أكثر، فالأسماء الإسلامية دائماً ما ينظر للأفراد الذين يمتلكونها نظرة سلبية وتربط مباشرة بالإرهاب "اسمي يامي، آمنه، أعتقد الاثنين معا"³⁷ فالاسم يحمل معنى الأمان على حد قول "جيل" لكن إضافتها لكلمة "آمنه" والتي تعد من الأسماء الإسلامية، هو نوع من إحياء لهويتها وانتماءها وإظهار لأصولها.

أما شخصية "غرسيا خوسي" ذي الأصل الإسبانية، الذي جاء مع زوجته إلى هذه المدينة هرباً من فرانكو، تغير اسمه إلى "الباسكي"، فتم اختراع وتركيب هذا الاسم في هذه المدينة، فأصبح ينادى بهذا الاسم.

التهجين في الأكل:

يمثل الأكل هوية الشعوب فهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بها، فعندما نسمع اسم أكلة معينة يتبادر لذهننا مباشرة ذلك المجتمع، "فمحرمات الطعام لا يمكن فهمها بمعزل عن النسق الذي توجد فيه، فلا بد من وضعها في مركز العلاقات التي من نفس مستواها، والتي تكون معها نسقاً، وهذا النسق لا بد أن يرتبط بأنساق المستويات الأخرى، التي يتم فصل معها لتكوين النسق الاجتماعي-الثقافي للشعب معين"³⁸، فهو ليس مرتبطاً بإشباع الحاجة البيولوجية فقط، بل هو تيمة للهوية والانتماء أي "نتاج تنظيم المجتمع ومرآته، سواء على أوسع المستويات أو أكثرها حميمية، وهو مرتبط بكثير من أنواع السلوك وله معانٍ لا نهاية لها، فهو يمتص الظواهر الثقافية ويعكسها"³⁹.

تصور الرواية الهجنة في الأكل وقد ظهرت في البداية عند "جيل" المعجب بالأكلات الهندية لدرجة الذوبان فيها، وحتى أنه لا يأكل عند ذهابه للمطعم إلا من طهوي "ماري غيثا" الهندية أما شخصية مادري غيثا، التي أعجبت بالأكلات الأخرى حتى أصبحت تتقن طهوها "جاء جوني بصحن مكسيكي هندي، فلفل حاد مدروس وسمك مجفف مفروم على الطريقة الهندية، وطماطم مجففة على الطريقة الإيطالية المطبوخة بالبهارات الهندية المتنوعة التي لا يعرف سرها ومقاديرها إلا مادري غيثا...لو تعرف كم قومية اشتركت في هذه الأكلة"⁴⁰ هذه إشارة إلى هجنة المهاجرين وكيف يعجبون بثقافة الآخر من ناحية الأكل وتأثرهم بها، إلى غاية الاندماج هو ما يخلف في النهاية إقصاء لهويته، فذلك الدمج والمزج بين تقنيات ومكونات من مطابخ مختلفة في طبق واحد هو ما يعطي للطبق لمسه فريدة، ويعكس بالضرورة ذلك التبادل الثقافي الذي يجسد الطبق.

وفي المقابل تظهر شخصية "يامي" التي تسعى لتعلم طريقة الهنود في إعداد الطعام ومحاكلتهم، "أريد أن، أتعلم منها كل الأطباق الجميلة والشهية، التي جاءت بها

من أرضها وتلك التي اكتسبتها من هنا. تعلمني كيف أطبخ بعض المأكولات الهندية والأفغانية الطيبة.⁴¹

الخاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه في هذه الدراسة توصلنا لمجموعة من النتائج، يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- ✓ الهوية من المفاهيم الزئبقية التي اختلف الفلاسفة والنقاد في تحديدها، وهذا لتمييزها بالتغير وتطور، وعدم الثبات والنقاء، وهو ما تجسد في مرحلة ما بعد الكولونيالية والتغيرات التي أحدثتها، ساهمت في طرح هويات هجينة.
- ✓ تشكل الهوية الهجينة كنتيجة حتمية للواقع الذي تميز بالاستعمار والاستشراق والهجرة والمنفى.
- ✓ الرواية "سويت أمريكا" عمل سردي حالم بالعيش المشترك وتقبل الآخر، جسدت لنا كل أشكال العنصرية والنظرة السلبية ضد الأنا، عالجت مواضيع مضمرة كالهوية الهجينة عند المهاجرين وكيف يتأثرون بالآخر في العديد من المقومات الرئيسة التي تمثل انتماءهم.
- ✓ عكست الهجنة اللغوية ذلك التفاعل الثقافي الذي يعيشه الأفراد والمجتمعات، من خلال دمج بين لغتين أو أكثر في اللغة الأصلية، وهو ما نلمسه عند الروائية " زينب الأعوج" أكثر من الشخصيات، من خلال استعمالها لأكثر من لغة كالإنجليزية والفرنسية، ولهجة كالجزائرية، السورية المصرية... وغيرها.
- ✓ يمثل الانتماء ركيزة في المجتمعات، فالرواية صورت لنا الهجنة في الهوية، تجسدت في معظم شخصيات الرواية كشخصية جيل، وصديقه فريدريكو.
- ✓ في سياق الأسماء، كانت الهجنة واضحة تماما وهو ما نجده عند بطل الرواية جيل، المدعو جلال المسلم، فقد حمل بهذا ازدواجية في الاسم، بالإضافة لابنته يامي.
- ✓ اختلفت الأديان في الرواية فجمعت بين " الإسلامي، المسيحي، اليهودي وحتى البوذية" لتصور النظرة العنصرية اتجاه كل ما هو مختلف، لكن حدث نوع

من التهجين الديني في معظم الشخصيات كالبطل جيل وبناته، بالإضافة إلى الشخصيات الثانوية.

✓ يشكل الأكل عنصراً هاماً في العادات والتقاليد، إلا أنه ومن خلال العمل الروائي صور لنا نوعاً من التهجين، وذلك بإنشاء أطباق جديدة ومبتكرة، تجمع فيه أكثر من ثقافة وهو ما انطبق على شخصية مادري غيتا.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - حسين حنفي، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص 23.
- 2 - المرجع نفسه، ص 73.
- 3 - إدوارد سعيد، خارج المكان، تر: فؤاد طرابلسي، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 9.
- 4 - أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، تر: محمد عبد الغني غيوم، دار الحوار، ط1، 2007، ص 182.
- 5 - إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الأدب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ص 10.
- 6 - أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ص 177.
- 7 - بيل أشكروفت، جارت جريفيت، هليلين تيفين، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الأساسية، تر: أحمد الروبي، أحمد حلمي، عاطف عثمان، المركز القومي لترجمة الجيزة، ط1، 2010، ص 199.
- 8 - هومي بابا، موقع الثقافة، تر: ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص 12.
- 9 - المرجع نفسه، هومي بابا، ص 217.
- 10 - أنيا لومبا، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار، ص 177.
- 11 - بيل أشكروفت، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص 199-200.
- 12 - بن يشو جيلالي، نحو تخطيط لغوي لتهديب لغة الإعلام في الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، دط، 2011، ص 332.
- 13 - زنب الأعوج، سويت أمريكا، منشورات الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، دط، 2022، ص 11.
- 14 - المرجع نفسه، ص 19.
- 15 - المرجع نفسه، ص 23.
- 16 - المرجع نفسه، ص 85.
- 17 - إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 144.
- 18 - زنب الأعوج، سويت أمريكا، ص 184.

- 19 - المرجع نفسه، ص 177.
- 20 - المرجع نفسه، ص 155.
- 21 - المرجع نفسه، ص 49.
- 22 - المرجع نفسه، ص 177.
- 23 - المرجع نفسه، ص 175.
- 24 - المرجع نفسه، ص 199.
- 25 - المرجع نفسه، ص 86.
- 26 - المرجع نفسه، ص 19.
- 27 - محمد الرحيلي، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص 19.
- 28 - زينب الأعرج، سويت أمريكا، ص 26.
- 29 - المرجع نفسه، ص 151.
- 30 - المرجع نفسه، ص 248.
- 31 - المرجع نفسه، ص 249.
- 32 - المرجع نفسه، ص 282.
- 33 - المرجع نفسه، ص 91.
- 34 - فيليب لابرول، تولوا وجان فارنبييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، تر: مصباح صمد، المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1014، ص 273.
- 35 - زينب الأعرج، سويت أمريكا، ص 118.
- 36 - المرجع نفسه، ص 198.
- 37 - المرجع نفسه، ص 188.
- 38 - كارول م كونهان، أنثروبولوجيا الطعام والجسد النوع والمعنى والقوة، تر: سهام عبد السلام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013، ص 40.
- 39 - ينظر، المرجع نفسه، ص 19.
- 40 - زينب الأعرج، سويت أمريكا، ص 190-191.
- 41 - المرجع نفسه، ص 192.